القرآن
أساس الحكم الصالح

لفضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد
المدرس بكلية الدعوة بالجامعة

القرآن هو كتاب الله الخالد أنزله على رسوله الكريم ليوثق العلاقة بين الإنسان وربه وبينه وبين سائر المخلوقات حتى تنتظم عمارة الكـــون ويتم صلاح العالم .

أشاد القرآن بفضل الإنسان ونوه بمكانته فبين أن الله أعده لمنصب الخلافة قال تعالى : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » (١) وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » (٢) ومن يوم امتحن الله آدم وزوجه وهبط بهما إلى الأرض أعلنهما المولى بالقرار الإلهى الذى أصدره « اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (٣)

ومن ذلك الحين توالت الرسالات وتتابعت الرسل ونزلت الكتب حتى انتهى الأمر إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإلى ما أنزل عليه من الكتاب المبين قال تعالى : « إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذيـــر وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير » (٤)

١ ـ سورة البقرة آية ٣٠
٢ ـ سورة الانعام آخر آية فيها
٣ ـ سورة طه ١٢٣ـ١٢٦
٤ ـ سورة فاطر ٢٤ـ٢٦

Made With Pdf Office

وهكذا نفذ الله القرار الذى أعلن به آدم وزوجه ونسله فبعث الرسل وأنزل الكتب وأعان أهل الحق وخذل أهل الباطل .

وقد اتفقت دعوة الرسل فى هدفها وطريقها فكلهم دعا وسعى بالحكمة والموعظة الحسنة لتوحيد القلوب ودفعها إلى الخير وتنفيرها من الشر والتوجه بها إلى إلـــه واحد .

وفى دعوتهم هذه لم ينكروا بل لم ينكر الله عليهم أن ينالوا من الدنيا وطيباتها ماتقتضيه ظروف الحياة فى حدود الاعتدال وفق مارسمه الله قال تعالى : —

« ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » (١)

ولحكمة ما قدم الله ما أباحه للرسل من الطيبات على ما أوجبه عليهم من عمل وما كلفهم به من واجبات ليكون هذا باعثاً لهم ولسائر الناس على إجابته والإسراع إلى طاعته شكراً لله سبحانه على ما أسبغ من نعمته بهذا جاءت الرسل واتفقت الرسالات فكلهم دعا إلى الله ورغب فى العمل الصالح والذلك أوجب القرآن أن نؤمن برسله جميعاً دون تفريق فقال : —

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد أحد منهم ونحن له مسلمون » (٢)

وبهذا جمع القرآن الناس على مائدة واحدة ، وربط قلوب بعضهم ببعض وأزال أسباب النفرة بين أهل الأديان الحقة ، واتجه بهم إلى الله الواحد الأحد فى وحدة متناسقة .

ومن فضل الله علينا أن القرآن وهو خاتم الكتب جمع بطريق العبارة أو الإشارة كل ما يحتاج إليه الناس وينهض بهم ويعالج شئونهم فى كل نواحى الحياة ، فهو آية كبرى ، وحجة خالدة ، وعقيدة صافية ، وعبادة هادية وقانون تام وسياسة ناجحة ، وإصلاح اجتماعي ، ونظام دولى ودائرة معارف يعتمد عليها المسلمون فى دينهم ودنياهم .

١ ـ سورة (المؤمنون) ٥١ ، ٥٢   ٢ ـ سورة البقرة ١٣٦

Made With Pdf Office

وصدق الله العظيم إذ يقول : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى رحمة وبشرى للمسلمين » (١) – « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (٢)

نعم : لقد تمت النعمة وكملت المنة فنحن فى غنى عن كل المبادئ والمذاهب والقوانين والدساتير الأجنبية شرقية كانت أم غربية .

قال تعالى : « ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمافى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » (٣)

إن الله الذى خلق الناس لم يدعهم هملا ، ولم يتركهم سدى ، بل شرع لهم شرائع ، وسن لهم قوانين أوجب عليهم أن يلتزموها وألا يحيدوا عنها تطبيقاً لقراره القديم : « فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (٤)

ولا ريب أن ماشرعه الله أحكم وأنفع مما وضعه الإنسان فالمولى هو الذى خلق الإنسان ، ويعلم ظاهره وباطنه وما ينفعه وما يؤذيه وما يلائمه وما يجافيه قال تعالى : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٥)

وقال : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه » (٦)

وقال : «هوأعلمبكمإذأ نشأكم من الأرض وإذأنتم أجنة فى بطون أمهاتكم»(٧)

بل إنه سبحانه يعلم كل شيء فى العالم الذى يعيش فيه الانسان ويتأثر به قال تعالى : « وربك أعلم بمن فى السموات والأرض » (٨)

وقال : « ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم » (٩)

---

١ – سورة النحل ٨٩
٢ – سورة المائدة ٣
٣ – سورة يونس ٥٧ ، ٥٨
٤ – سورة طه ١٢٣ ، ١٢٤
٥ – سورة الملك ١٤
٦ – سورة ق ١٦
٧ – سورة النجم ٣٢
٨ – سورة الاسراء ٥٥
٩ – سورة المجادلة ٧

Made With Pdf Office

وقال : « يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (١)

فما قرره المولى فى القرآن ينبنى على حكم إلهية ، وأسرار ربانية قال تعالى : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما » (٢)

وأحكام الله سبحانه يسر لاعنت فيها ولا مشقة ولا كلفة فيها ولا حرج قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٣)

وقال : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » (٤)

وقال : « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » (٥)

ولا عجب فالرحمة صفة من صفات الله الذى أوحى بهذه الأحكام قال تعالى : « إن الله بالناس لرءوف رحيم » (٦)

وقال : « ورحمتى وسعت كل شىء » (٧)

وهى صفة من صفات رسوله الذى نزلت عليه .. قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »(٨)

وقال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٩)

وصفة من صفات دستوره الذى نزل بها واشتمل عليها قال تعالى : « فقد جاءتكم بينة من ربكم وهدى ورحمة » (١٠)

فالرحمة كما ترى – أيها القارىء – صفة من صفات الله .. وصفات رسوله وصفات كتابه ، فلا بدع إذا رأينا آثار هذه الرحمة تتجلى فيما جاءنا من أحكام ،

---

١ – سورة الحديد ٤
٢ – سورة الفرقان ٦
٣ – سورة البقرة ١٨٥
٤ – سورة البقرة ٢٨٦
٥ – سورة النساء ٢٨
٦ – سورة الحج ٦٥
٧ – سورة الاعراف ١٥٦
٨ – سورة التوبة ١٢٨
٩ – سورة الانبياء ١٠٧
١٠ – سورة الانعام ١٥٧

Made With Pdf Office

وما ألزمنا به من تكاليف وحسب الباحث المفكر أن يقرأ فاتحة الكتاب ويتأمل هذا البدء العجيب الرائع ليرى كيف يفتتح الله القرآن بما يلقى عليه الهيبة ، وما يبعد اليأس عن النفوس وبما يقيم الرابطة بين الإنسان وربه على أساس من الحب العميق والرحمة الشاملة التي وسعت كل مخلوقات الله فأول ما يقرع السمع « بسم الله الرحمن الرحيم » فباسم الله صدر هذا الدستور ، ولم يصدر باسم ملك متجبر ولا باسم أناس لهم هوى يتحكم فيهم ، وشيطان يوسوس لهم ، ونفس أمارة بالسوء

نعم .. صدر باسم الله الذى تنزه عن الهوى وعن العبث وعن السفه .. صدر باسم الله ليكون له وقع فى النفوس وهيبة فى القلوب تحمل على اتباعه وتقديسه والابتعاد عن التلاعب به ، لأنه صادر ممن بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، ممن يعلم السر وأخفى صدر هذا الدستور باسم الله الرحمن الرحيم . وهكذا يستقبلنا دستور الله باسميه الرحمن الرحيم ليذكرنا برحمته الواسعة ، وليطمئننا على أن هذه الأحكام لا عنت فيها ولا مشقة لأنها صادرة من الرحمن الرحيم ،

ويثنى بعد ذلك المولى بقوله : « الحمد لله رب العالمين » فمنزل القرآن هو صاحب النعم جليلها ودقيقها .. أصولها وفروعها .. المستحق للحمد من جميع الخلائق فهو رب العالمين وليس رب المسلمين وحدهم بل هو رب المسلمين واليهود والمسيحيين وغيرهم من الخلائق يتعهدهم بتربيته ، ويتولاهم برحمته .

وبهذا المطلع يلقى فى قلوب الناس جميعاً الرضا والاطمئنان إلى أحكامه ومبادئه ففيها ما ينفعهم ويحميهم لا ما يضرهم ويؤذيهم ، ومن لطف الله سبحانه أنه يعود بعد ذلك مباشرة فيقول « الرحمن الرحيم (فيضع العالمين بين رحمتين رحمة سابقة ورحمة لاحقة .. هذا هو مطلع القرآن ومايوحى به .

أما ختامه فهو إرشاد من الله لنا لنستعيذ به من كل مايعكر النفوس ويهدد السلام ويثير الخصام ويفسد العلاقات .

فى هذا الختام يعلمنا المولى كيف نستعيذ به من كل مايوحى بالشر إنسياً كان أم جنيا قال تعالى : « قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

هذا هو بدء القرآن وهذا هو ختامه رحمة من الله تبعد عنا الشر وتجلب لنا

Made With Pdf Office

الخير وتهدينا إلى الصراط المستقيم فما ظنك أيها القارىء الكريم بما يتخلله من أحكام ومبادئ .. هل يمكن أن تشذ عن هذا المطلع وهذا المقطع . ؟

كلا .. إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم .

فإلى الذين يتهيبون الإسلام ، ويتخوفون أحكامه نوجه إليهم هذه الكلمة فإن كانوا مخالفين لنا فى الدين من اليهود والنصارى قلنا لهم : لاترتاعوا واطمئنوا فالإسلام يطعمكم من جوع ويؤمنكم من خوف .

وطالعوا التاريخ يخبركم أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم فوجد يهودياً على باب مسجد يتكفف الناس .. فسأله من أنت ؟ وما حالك ؟ فقال : يهودى من أهل الكتاب اسأل الحاجة والجزية والسن فقال : ما أنصفناك أخذنا الجزية وقت شبابك ، وتركناك وقت هرمك ثم أخذ به إلى أمين بيت مال المسلمين ، إى والله إلى بيت مال المسلمين لا بيت مال اليهود . فقال عمر له : انظر هذا وضرباءه فأعطهم مايكفيهم وأهليهم بالمعروف .

كذلك يحدثنا التاريخ أن عمر بن الخطاب استدعى فاتح مصر ليحاسبه على جريرة ابنه ، وليمكن للقبطى من ضرب ولده الذى أساء له وليقول له بعد أن اقتص منه القبطي هذه الكلمة التي دوت فى الآذان ، ووعتها الأذهان على مر الزمان « ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا »

هكذا أطعمهم الإسلام من جوع وآمنهم من خوف وحماهم من ظلم ، وحافظ على حرياتهم .

(وبعد) فواجب على المسلمين فى أنحاء العالم أن يعودوا إلى كتاب الله ويحلوا حلاله ويحرموا حرامه ، ويقيموا أحكامه ، عليهم أن يحتكموا إلى الشريعة الاسلامية ففيها ما يغنيهم عن القوانين الأجنبية ، عليهم أن يأخذوا بالكتاب كله حتى لايكونوا ممن قال الله فيهم :

« ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك (١) سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا »

---

١ ـ سورة النساء ١٥٠

Made With Pdf Office

إلى أمثال هؤلاء الذين يتجاهلون أحكام الله أو بعض أحكامه ، ويرتابون في حدوده نوجه إليهم هذا السؤال : —

هل ترون أن كتاب الله انتهت مهمته ، وانقضت مدته وأحيل إلى المعاش والتقاعد فلا وظيفة له اليوم بين الناس لأن ماجاء فيه من أحكام الربا والحدود لايمكن على زعمكم تطبيقه ، ولا يتيسر تنفيذه ؟

إذن فلماذا ضمن الله له الخلود والبقاء فقال : —

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (١)

هل حفظه الله ليستجدى به الناس على قارعة الطريق ، أو ليودع في دار الآثار على أنه أثر عتيق ؟؟ ! .

كلا : بل حفظه الله ليهدى الناس إلى صراط مستقيم ، وليحكم بينهم فيماهم فيه يختلفون قال تعالى : —

« وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » (٢)

وقال سبحانه : —

« وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون .. أفحكم الجاهلية يبقون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (٣)

« وقال عز وجل — »

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (٤)

---

١ ــ سورة الحجر ٩
٢ ــ سورة الانعام ١٩
٣ ــ سورة المائدة ٤٩ ، ٥٠
٤ ــ سورة الاحزاب ٣٦

Made With Pdf Office